تفجير المدرعات في غزة فجر الجدل داخل الكيان ورفع رصيد المقاومة

12-5-2004

أثرت العمليتان إيجابيا بشكل كبير على معنويات المقاومة والشعب الفلسطيني وأعادت الصهاينة إلى المربع الأول بعد أن كانت تراهن بعض الأوساط الأمنية الصهيونية على كسر شوكة المقاومة في أعقاب موجة الاغتيالات والحملات والاجتياحات والقتل والتدمير المتواصلة.

بقلم وسام عفيفة

مواد ذات علاقة

معركة حي الزيتون: البطولة الفلسطينية والهزيمة الصهيونية

بينما لا تزال توابع تفجير المدرعة الإسرائيلية ومقتل 6 جنود فيها في معركة حي الزيتون بغزة تتوالى، ضربت المقاومة مرة أخرى وخلال يومين دبابة إسرائيلية على الشريط الحدودي بين الأراضي المصرية والفلسطينية وقتل عددا من الجنود أيضا ليتضاعف رصيد المقاومة الفلسطينية ولتسجل انتصارا جديدا ميدانيا ومعنويا ولتضيف خسارة جديده ومؤلمه لرصيد رئيس الوزراء الصهيوني اريئيل شارون وجيشه، الأمر الذي قد يؤثر على مجرى الأحداث استراتيجيا خلال المرحلة القادمة. وتأتي خسائر الصهاينة في قطاع غزة في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن الانسحاب من قطاع غزة مما يعني أن كل جندي إسرائيلي يسقط في "الوقت الضائع" وتكون خسارته مضاعفة وتشكل عامل ضغط جديد في اتجاه فكرة الانسحاب خاصة وأن الثمن والخسارة البشرية التي يدفعها الاحتلال تشكل الهزيمة الأكبر بالنسبة للكيان، وعليه فإن أبعاد وتأثير هذه العمليات على المقاومة الفلسطينية في غاية الأهمية في الوقت الذي أثارت فيه عملية تفجير المدرعة في حي الزيتون في غزة ومقتل جنودها الستة، ردود فعل غاضبة في الكيان وفجرت نقاشا عاصفا في أوساط اليمين واليسار، حول فك الارتباط وجدوى استمرار الاحتلال للقطاع، سيما وأن العملية جاءت غداة تصريحات وزير الدفاع، شاؤول موفاز، الذي اعتبر الاستيطان هناك خطأ تاريخيا فادحا. ولا شك أن صور أشلاء الجنود وأجزاء الآلية المتناثرة قد شحنت هذا النقاش بالمزيد من الحدة والسخونة.

* التأثير فلسطينيا:

لاشك أن تفجير المدرعة والدبابة ومقتل العديد من الجنود في قطاع غزة الذي شهد أعنف وأوسع عمليات اغتيال ضد قيادات حماس خلال الفترة الماضية، تركت آثارا مشهودة على الجانب الفلسطيني، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- أثرت العمليتان إيجابيا بشكل كبير على معنويات المقاومة والشعب الفلسطيني وأعادت الصهاينة إلى المربع الأول بعد أن كانت تراهن بعض الأوساط الأمنية الصهيونية على كسر شوكة المقاومة في أعقاب موجة الاغتيالات والحملات والاجتياحات والقتل والتدمير المتواصلة.

- ذاق الفلسطينيون طعم النصر وشرب شارون كأس العلقم الذي سقاه للفلسطينيين وهم يودعون كل يوم قائدا اغتيل بدم بارد، وفي عرف المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية تعتبر عملية تفجير آليتين صهيونيتين وقتل 6 جنود في كل منهما ضربة استرايجية ولها أبعاد ميدانية وأمنية وسياسية خاصة وأن المواجهة في الأراضي الفلسطينية لا يتحقق النصر فيها بالضربة القاضية في صراع طويل.

- أظهرت المقاومة قدرا عاليا من الحنكة والخبرة العسكرية في التصدي والمواجهة في حي الزيتون رغم من عظم حجم الترسانة والقوة العسكرية الأقوى في الشرق الأوسط مقابل وسائل وإمكانيات فلسطينية تكاد تكون بدائية، وعلى سبيل المثال أول من تصدى للوحدات الخاصة الصهيونية وحدة المرابطين التابعة لكتائب القسام وهي وحدة مناط بها عمليات الحراسة والاستطلاع وقد تشكلت في العام الأخير ولكن عملها وأدائها تطور لمواجهة عمليات الاجتياح والتوغل التي يعتمد عليها جيش الاحتلال في ضرب المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة.
- ظهرت منذ الساعات الأولى للعملية في حي الزيتون، المنافسة بين الفصيلين الإسلاميين "حماس" والجهاد الإسلامي في تبني المسئولية عن قتل الجنود الستة، وهو ما يشير إلى أن المقاومة ومستقبلها في فلسطين بات يعتمد على الإسلاميين لكنه يشير أيضا إلى نزاع خفي على تبوأ موقع الصدارة في عمل المقاومة بين الجهاد وحماس، ورغم أن الأخيرة تتمتع بنفوذ شعبي وقاعدة أوسع إلا أن الجهاد الإسلامي أخذ موقعه في الفترة الأخيرة من خلال تصعيد عملياته التي تضاف إلى رصيده الجهادي.
* غليان في الكيان:
إسرائيليا، يتصاعد الجدل بين كافة الأوساط السياسية والحزبية عن الثمن والحل والموقف من استمرار احتلال قطاع غزة كما يتصاعد الإرباك والتخبط في أوساط جيش الاحتلال، ويبدو أن الخاسر الأكبر شارون الذي خرج من هزيمة داخلية بعد فشلة في استفتاء حزبه (الليكود) محاولا أن يعوض ذلك بتصعيد ضرباته للفلسطينيين التي أتت بنتائج عكسية.
الهزيمة الإسرائيلية ظهرت أيضا في الموقف من التفاوض بشان أشلاء الجنود مع فصائل المقاومة الفلسطينية، فبينما كانت قيادات جيش الاحتلال تطلق التصريحات النارية حول تصميمهم إعادة جثث جنودهم دون التفاوض مع فصائل المقاومة الفلسطينية، خمدت هذه اللهجة منذ اللحظات الأولى مع مطالبة الصليب الأحمر وكذلك مدير المخابرات المصرية وجهات فلسطينية مثل قائد الأمن الوقائي في غزة بالتدخل، وحدثت تطورات مثيرة في قضية إعادة أشلاء جثث الجنود الست, وأوضحت المصادر أن جميع الفصائل الفلسطينية وافقت على إعادة أشلاء الجثث مقابل انسحاب إسرائيل من حيّ الزيتون وإعادة جثث فلسطينيين.

معركة حي الزيتون: البطولة الفلسطينية والهزيمة الصهيونية

11-5-2004

لكن الجديد في هذه المعركة تمكن كتائب القسام من قتل 6 جنود بعد تفجير الناقلة التي كانت تقلهم وتمزقهم أشلاء بفعل الانفجار ثم اعتراف الكيان الصهيوني لاحقا بخسائره، وأن الفلسطينيين أسروا جثث وأشلاء جنوده القتلى، وأعلن الجنرال الإسرائيلي دان هاريل قائد المنطقة العسكرية الجنوبية التي تشمل غزة أن الجيش "سيبذل قصارى جهده" للعثور على أشلاء الجنود الإسرائيليين الستة الذين قتلوا في غزة. وأكد الجنرال هاريل في مؤتمر صحافي "سنبذل قصارى جهدنا من أجل دفن زملائنا في (إسرائيل)، إنه التزام وسنبذل كل ما في وسعنا لاحترامه

بقلم وسام عفيفة

تحول حي الزيتون بغزة فجر يوم الثلاثاء 11/5 إلى مسرح لمعركة شرسة بين المقاومة الفلسطينية وقوات الاحتلال المدعومة بالآليات والطائرات وأفضل وحدات الجيش تسليحا وتدريبا التي اجتاحت الحي عند منتصف الليل تقريبا لتنفذ عمليات إرهابية واسعة وترتكب مجزرة جديدة في الحي سقط فيها 8 شهداء بينهم مجاهدين وأصيب أكثر من 125 شخصا، والعديد منهم في حالات خطرة، لكن الجديد في هذه المعركة تمكن كتائب القسام من قتل 6 جنود بعد تفجير الناقلة التي كانت تقلهم وتمزقهم أشلاء بفعل الانفجار ثم اعتراف الكيان الصهيوني لاحقا بخسائره، وأن الفلسطينيين أسروا جثث وأشلاء جنوده القتلى، وأعلن الجنرال الإسرائيلي دان هاريل قائد المنطقة العسكرية الجنوبية التي تشمل غزة أن الجيش "سيبذل قصارى جهده" للعثور على أشلاء الجنود الإسرائيليين الستة الذين قتلوا في غزة. وأكد الجنرال هاريل في مؤتمر صحافي "سنبذل قصارى جهدنا من أجل دفن زملائنا في (إسرائيل)، إنه التزام وسنبذل كل ما في وسعنا لاحترامه". وأضاف قائلا: "إننا نسيطر على المنطقة التي قتلوا فيها، ونقوم بتفتيشها منزلا منزلا, وسنأخذ الوقت اللازم كي يوارى جنودنا الثرى في إسرائيل". وقال التلفزيون العام الإسرائيلي إن المسئولين الإسرائيليين لا يعتزمون الدخول في مفاوضات من أجل الحصول على الأشلاء.

وقد بدأت ملحمة الزيتون عندما توغلت أكثر من ست دبابات وعشرة آليات عسكرية مصفحة تحت غطاء جوي في مدينة غزة، وتبادل جنود الاحتلال النار مع مسلحين حاولوا التصدي للقوات الغازية. واستولت قوات الاحتلال على ثلاثة منازل واعتلى الجنود أسطحها وحولوها إلى ثكنات عسكرية لقنص المقاومين فيما تصدت قوى المقاومة الفلسطينية بالعبوات الناسفة وقذائف الأر بي جي، وطوق الجنود منازل مقاومين من حركتي المقاومة الإسلامية (حماس) والجهاد الإسلامي ونسفوا أبواب مداخل عدة مبان أقاموا فيها نقاط مراقبة على الأسطح. وقال فلسطينيون إن الجنود تسللوا إلى داخل مدينة غزة بسيارات مدنية. وقطعت الجرافات الإسرائيلية الطريق الساحلي وأقامت حواجز ترابية.

وقد دمّرت قوات الاحتلال الصهيوني، عدداً من المحال التجارية والممتلكات، وذكر شهود عيان، أن تلك القوات شرعت بعمليات تدمير لعددٍ من المحال والمخازن التجارية في شارع صلاح الدين، وسط الحي، هذا وقد جرّفت القوات الصهيونية عشرات الدونمات من الأراض الزراعية، وذكر شهود عيان أن تلك القوات المعتدية الغازية تدعمها عدّة جرّافات عسكرية مدرّعة، توغلت في الحي، وشرعت بعمليات تجريف للأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة، بالقرب من منطقة سوق السيّارات.

كما أفادت مصادر طبية أن قوات الاحتلال أطلقت نيران أسلحتها وقذائفها تجاه سيارات الإسعاف والطواقم الطبية، في حي الزيتون، وأضافت المصادر أن كثافة النيران والقصف المدفعي حال دون وصول هذه السيارات إلى مكان الحدث لإخلاء الجرحى وإسعافهم ونقلهم إلى المستشفيات، مما أدى الى ارتفاع عدد الشهداء، بين صفوف المواطنين.

من ناحية أخرى أكدت بلاغات عسكرية صادرة الفصائل الفلسطينية أنها تمكنت تدمير وإعطاب العديد من الآليات العسكرية خلال العملية.

مصادر جيش الاحتلال قالت إن وحدة الجوالة التابعة لـ"جفعاتي"، وقوات من سلاح الهندسة والمدرعات، توغلت الليلة الماضية، تغطيها المروحيات العسكرية، في حي الزيتون في مدينة غزة، بحثًا عن ورشات خراطة لتصنيع قذائف الهاون.على حد زعمهم، وإن العملية، في حي الزيتون، تأتي استمرارا للنشاطات والعمليات التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي، في الفترة الأخيرة، في مناطق مختلفة من قطاع غزة هذا الأسبوع في ثلاثة مراكز في قطاع غزة، في

عمليات تمت بموازاة بعضها البعض، في كل من رفح وخان يونس، ودير البلح.
وتهدف هذه العمليات على حد زعم الصهاينة إلى البحث عن أنفاق سرية تستخدم لتهريب الأسلحة والوسائل القتالية، وايضا لتعقب وتحديد المواقع التي يستخدمها الفلسطينيون لإطلاق صواريخ وقذائف الهاون باتجاه مواقع للجيش الإسرائيلي، وباتجاه المستوطنات الإسرائيلية في المجمع الاستيطاني في غوش قطيف. وكانت آخر عملية اجتياح نفذها جيش الاحتلال، في حي الزيتون قد نفذت في أواخر شهر كانون ثاني / يناير الماضي. وأسفرت العملية المذكورة عن استشهاد تسعة فلسطينيين.
تطورت الأحداث ميدانيا في حي الزيتون بغزة وسياسيا في الكيان بشكل متسارع بعد ان تحولت نزهة اجتياح لقوات الاحتلال إلى كارثة صهيونية حسب إجماع كافة السياسيين والعسكريين الصهاينة وأصبحت قضية أشلاء الجنود لدى المقاومة الفلسطينية القضية الرئيسية في الكيان، وميدانيا تحولت الهجمة الصهيونية على الزيتون إلى "هستيريا" عسكرية تستخدم فيها كافة وسائل الانتقام من المقاومة والمواطنين حيث استدعيت تعزيزات عسكرية كبيرة غير مسبوقة فيما قامت الدبابات والطائرات الصهيونية بقصف منازل وتجمعات المواطنين بشكل عشوائي.
وفي اعتراف أولي بالهزيمة في هذه المعركة، طلبت (إسرائيل) من الصليب الأحمر الدولي التدخل لدى الفلسطينيين لإعادة أشلاء جثث الجنود الإسرائيليين الذين قتلوا في تفجير دبابة إسرائيلية خلال اجتاح حي الزيتون، وكانت المقاومة الفلسطينية قد اختطفت أشلاء الجثث وعرضت شريطا مصورا إمام وسائل الأعلام يصور العملية ضد الدبابة والسيطرة على أشلاء الجثث.
وقال الناطق بلسان الصليب الأحمر في إسرائيل، اوري مساد، ان السلطات الإسرائيلية توجهت الى الصليب الأحمر وطلبت منه العمل لإعادة أشلاء الجثث، "فوراً". وعلم أن الصليب الأحمر قام بتحويل الطلب إلى التنظيمات الفلسطينية.
في المقابل توجه النائب الليكودي، ايهود ياتوم، وبشكل سافر ودموي، من على منصة الكنيست، إلى النواب العرب، وطالبهم بـ"عدم التشهير بالدولة" على حد تعبيره، وإنما القيام "بعمل هام يوفر حياة البشر في الجانبين ويؤثروا على الفلسطينيين ليعيدوا الجثث".
من جهتها اتهمت الخارجية الإسرائيلية الفلسطينيين بـ"التنكيل" بالجثث ونعتتهم بالبرابرة، فيما وصفهم وزير الخارجية سيلفان شالوم، بالحيوانات!، وقال شالوم خلال محادثة هاتفية مع نظيره الأمريكي، كولين باول، إن "إسرائيل ستفعل كل ما يتطلبه الأمر من أجل إعادة الجثث"، ناعتا الفلسطينيين بالحيوانات، ومتوعدا "بالعمل ضدهم بكل وسيلة".
في هذه الأثناء دعت أوساط اليمين الإسرائيلي في أعقاب مقتل الجنود الإسرائيليين الستة في قطاع غزة، (الثلاثاء)، إلى توسيع دائرة الحملات العسكرية ضد الفلسطينيين، فيما اعتبرت أوساط اليسار أن الجنود ضحوا بحياتهم سدى. ودعا عضو الكنيست أرييه إلداد إلى إعلان حرب شاملة على الفلسطينيين، وقال: "يتعين على رئيس الحكومة أن يصدر تعليماته للجيش بإعلان حرب شاملة على السلطة الفلسطينية وبقية التنظيمات الإرهابية، والتكفير بذلك عن خطة الانفصال التي طرحها".
وقال عضو الكنيست الصهيوني، شاؤول يهلوم (ا"لمفدال")، بكلمات "هستيرية" إن "ما قام به ناشطو حماس بعد قتل الجنود الإسرائيليين إنما يثبت مدى وضاعتهم وحقارتهم". وأضاف يهلوم أن "أية خطة انفصال لن تردعهم عن العمل ضدنا. علينا الاستمرار في السيطرة على قطاع غزة حتى نقضي على حماس تماما" على حد تعبيره.
وفي المقابل، قال عضو الكنيست، يوسي سريد ("ميرتس-ياحد") تعقيبًا على الموضوع: "إننا نتساءل اليوم ما هو سبب سقوط جنودنا، لقد ضحوا بحياتهم عبثا، من الواضح للجميع أن ما يجب فعله هو الخروج من هناك".

ودعت عضوة الكنيست، يولي تمير شارون إلى الاستقالة من منصبه في أعقاب مقتل الجنود في غزة. وقالت تمير :"شارون غير قادر على سحب الجيش الإسرائيلي من غزة ومستمر في التخلي عن الجنود الإسرائيليين. يتعين عليه في ضوء ذلك تقديم استقالته". أما عضو الكنيست، إيتان كابيل، من الحزب ذاته، فقد وصف نشطاء حركة حماس بأنهم "حثالة البشر"، وقال إن على أجهزة الأمن الإسرائيلية أن "تلاحقهم وتقضي عليهم\، إذ لا حق لهؤلاء الأشخاص بالعيش لأنهم وحوش يمشون على رجلين". لكنه أضاف في الوقت ذاته أن "المفاوضات مع الجهات العاقلة يمكن أن تنقذ المنطقة من الفوضى العارمة التي تعيشها".

وقال عضو الكنيست محمد بركة (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) إن "على الجيش الإسرائيلي أن ينسحب من غزة"، وحذر بركة من ردود فعل إسرائيلية متهورة يمكن أن تؤدي إلى تصعيد الأوضاع.

من جانبها، دعت عضوة الكنيست، زهافا غلؤون شارون إلى الانسحاب من قطاع غزة في أعقاب مقتل الجنود. وأضافت غلؤون أنه "بات من الواضح بالنسبة للجميع، باستثناء المستوطنين طبعًا، أن إسرائيل لن تبقى في غزة. إننا في غنى عن أي ضحية إضافية". من جانبه توعد رئيس الوزراء الإسرائيلي اريبل شارون اليوم بمواصلة ضرب "أعداء" إسرائيل في أي مكان يختبئون، على حد وصفه، وقال شارون في كلمة أمام الكنيست الصهيوني "اليوم تلقينا رسالة مؤلمة تذكرنا بالثمن الباهظ الذي ندفعه في كفاحنا للدفاع عن بلادنا وأمن مواطنينا."